# أسرار المومياء السوداء...



**إذا ما نظرت إلى خريطة أفريقيا وأدرتها رأساً على عقب، قد تراها من خلال عيون رحّالة أوروبي قديم. من هذا المنظور، قد تبهرك ضخامة الأرض. شمال أفريقيا، الواقع على الطرف الآخر من المتوسّط مباشرة، يكاد يكون ضعفي حجم أوروبا.**

لقد سمّيت أفريقيا يوماً بالقارّة السمراء، ليس لأنه كان يُعتقد أنها مكان للشرّ، ولكن لأنها كانت غير مكتشفة على نطاق واسع.

إن الامتداد الشاسع للصحراء الكبرى قد حمى مصر من الاحتلال العسكري، وحتى اليوم، تحول رقع معزولة شاسعة الرحّالة من الاختراق إلى الداخل، مانعة علماء الآثار من الاقتراب ومبقية الكنوز مخفيّة.

إن أرواحاً شجاعة مثل المستكشف الكونت بايرون دي بروروك بحثت عن أطلانطس هنا في العشرينيات، إن كتابه "بحثاً عن أطلانطس" لهو رواية مثيرة عن المغامرات والجرأة، دون شك ارتكب الكونت أخطاء، وهو يعتبر من "غزاة القبور" حسب المعايير الحديثة، ولكنه كان واحد من القلائل الراغبين في استكشاف هذه الأرض.

بعيدا عن الكونت وأطلانطس، يحمل شمال أفريقيا مكاناً خاصاً في مخيلتنا إنه المكان المثاليّ للرومانسية، فقد أبدع كتاب الخيال قصصاً آسرة تقع في شمال أفريقيا.

## سافينو والمومياء السوداء

في وثائقي باسم المومياء السوداء والصحراء الخضراء، نلتقي ببروفسور جامعيّ إيطاليّ قد قام بعدة رحلات إلى الصحراء، إنه يعتقد أن هذه الأرض القديمة تحتوي على مفاتيح مهمة لماضينا، ورغم المخاطر الواضحة يكدّ سافينو دي ليرنيا Savino di Lernia دون كللٍ في مسعاه.

يناقش سافينو وآخرون تقنيات التحنيط "المتقدمة" نوعا ما التي استُخدمت على جسد طفل أسود مكتشفٍ في ليبيا ويرجع حسب التأريخ الكربوني إلى 5600 سنة مضت، وان موهي جياج Uan Muhuggiag هو اسم مكان في جبال أكاكوس بالصحراء الليبية وأيضاً اسم مومياء الطفل المكتشفة هناك في 1958، هذا الكشف هو ذو أهمية لأن الطفل قد تم تحنيطه بالفعل قبل ألف سنة من ممارسة التحنيط في مصر.

يمكن لحيوان أو شخص أن يُجفّف إلى مومياء إذا ما دفن في رمال الصحراء، لكن تتضمن تقنيات التحنيط المتقدمة إزالة الأعضاء الحاملة للماء، ومعالجاتٍ أخرى كاستخدام مواد لمكافحة التحلّل.

في حالة أوان موهاقياق، اتُّخذ قدر كبير من العناية لحفظ جسد الطفل، إن الموت في مثل هذه السن الصغيرة كان ليسبب حزناً عميقاً للإنسان القديم، كما يسببه لنا، ولكن تحنيطه وحفظه يبدو مشيراً إلى أمل في حياةٍ آخرة.

**وعلى الرغم من إمكانية تخيل الماضي، فإن الحقيقة يكشفها المستكشفون.**



إن مومياء الطفل ليست الرابط الوحيد بالثقافة المصرية القديمة، ففي نفس المنطقة بليبيا، وجد سافينو وآخرون أنماط زخرفة خزفية، وفنوناً صخرية، ورموزاً تربط الشرق بالغرب.

في نفس المنطقة في ليبيا، وجدنا رسوماً صخرية لأناس برؤوس كلاب تشبه الإله أنوبيس، ويبدو أنها ترجع إلى عهد المومياء، في مصر القديمة، كان أنوبيس هو حامي الموتى، وإله العالم السفلي، والقائم بالتحنيط، هذا الإله ذو رأس ابن آوى رافق الأرواح إلى الآخرة وكان مضطلعاً بوزن القلوب – وهو حكم كان يحدد ما إذا كان الشخص سيدخل عالم الآخر أو سيبتلعه وحشٌ ما (1).

إذا ما كان إله يشبه أنوبيس جزءاً من طقوس جنائزية للمومياء السوداء، فربما نحن ننظر إلى سلفٍ له، أو على الأقل، تأثيرٍ على الديانة المصرية.

## أنوبيس

كشخصية دائمة خلال التاريخ المصري غالباً ما يصوّر أنوبيس في الرسوم المصرية، والغريب أن أنوبيس نادراً ما يذكر في الأساطير المصرية وقد استبدل بأوزيريس كحاكمٍ للعالم السفليّ خلال المملكة الوسطى (2).

أيمكن أن يكون أنوبيس إلهاً من ماقبل التاريخ أتى لمصر من مكان آخر؟ هل جاءت اسطورة الإله من الأراضي الغربية في شمال افريقيا؟

يخبرنا سافينو دي ليرنيا أنه قارن بين الرسوم على قطع الخزف التي وجدها في منطقة وان موهي جياج في ليبيا بالرسوم التي تظهر على الخزف في جنوب مصر، قد تشير التشابهات إلى تفاعل الناس من وسط أفريقيا مع المستوطنات الواقعة على طول النيل.

## رعاة الماشية الأفارقة القدامى

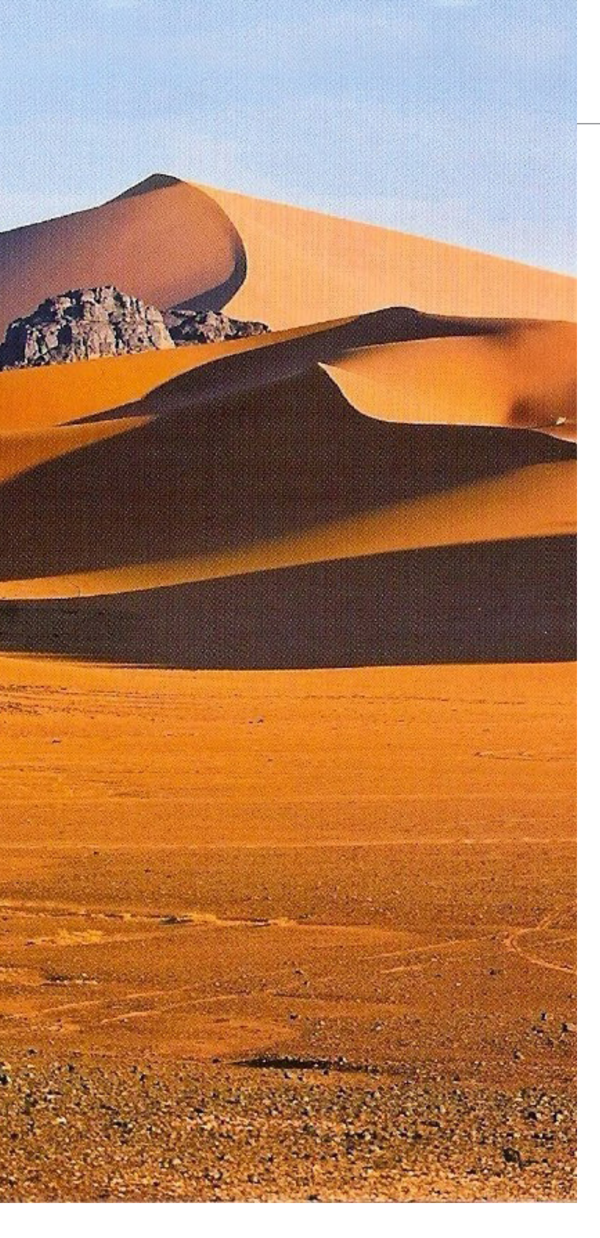
يذكر سافينو أيضاً العثور على موقع لـ "طائفة عبّاد بقر" ليس بعيداً من وان موهي جياج، بالنظر إلى الرسوم الصخرية الليبية، يخمّن سافينو أن قوم الطفل كانوا رعاة ماشية ويشير إلى شكل يشبه حتحور [إلهة مصرية]، كاملاً بقرون عجل أبيس وقرص شمس في إحدى الرسومات، عادة ما تصوّر الآلهة المصرية أبيس وحتحور مع رمز لـ "قرص بين القرون".

قد يكون هناك رابط قوي بين أناس المومياء والحضارات المصرية اللاحقة، ولكن يبرز سؤال هام: هل كان لأناس رحّل، رعاة للماشية، الموارد والوقت لتطوير تقنيات تحنيط؟

## حضارة ضائعة

في وثائقي لـ BBC تقدمه أميناتا فورنا Aminatta Forna بعنوان "مكتبات تمبكتو الضائعة"، نكتشف أن مناطق حضرية ضخمة قد وُجدت يوماً على ضفاف نهر النيجر، هذه المدن القديمة كانت على الأرجح متصلة بطرق التجارة الممتدة الوصلة إلى أطراف شمال أفريقيا، مثل تلك التي تقود إلى تمبكتو (مدينة تقع على بعد 12 كيلومتراً من نهر النيجر) في العصور الوسطى.

من خلال بحث المومياء السوداء في الصحراء الخضراء ندركُ أن الصحراء الكبرى كانت يوماً ما أكثر رطوبةً واخضراراً مع عدّة بحيرات وأنهار، لعلّ القنوات المائية القديمة سنحت لتقنيات مثل التحنيط بالانتشار، عبر معظم التاريخ الإنساني، كانت المسطحات المائية تمثل طرقاً سريعةً للتجارة، وانتشار المعرفة، وبناء الإمبراطوريات، ولعلّ أولئك الذين حنّطوا الطفل تمتعوا بمميزات حضارة تقنيّة إلى حدّ ما، ولكنهم اتخذوا نمط حياة أكثر ريفية، مثل رعاة البقر في مونتانا الحديثة.



يتم مراجعة التصوّرات عن التاريخ الأفريقي، القارة التي كان يعتقد أنها مكان بدائيّ بالمجمل تحتوي على مفاجآت عديدة، فعلى سبيل المثل، أشارت دراسة منشورة لليونيسكو في 2002 إلى أن صهر الحديد في ترميت، في شرقيّ النيجر لربمّا قد ابتدأ في وقت مبكّر كـ 1500ق.م(3).

ويعتقد أن العصر الحديدي قد كان بين 1500 وسنة 1 ق.م، لذلك فإن هذا يضع الأفارقة في المقدّمة، ينبغي التحقق من هذا، ولكن حضارة وفيرة في منطقة ما يمكن أن تكون قد طوّرت تقنيات مستخدمة لتحنيط الطفل، إذا ما أمكن العثور على مومياءات أخرى، فقد نعثر على أثر يقود إلى أصل مثل هذه الممارسات.

1. مخطوطة بردي من كتاب الموتي آني. Britishmuseum.org. Retrieved 2012-06-15.
2. Johnston, Sarah Iles (general ed.) (2004). Religions of the Ancient World: A Guide. – via] Questia (subscription required). Cambridge, MA: Belknap Press. ISBN 0-674-01517-7
3. IRON IN AFRICA: REVISING THE HISTORY UNESCO, 2002

## الكثير مازال ليكشتف

الباحث المرموق كيفين مكدونالد Kevin McDonald من معهد الآثار بجامعة UCL يقترح أنه مازال هناك الكثير ليصنّف فيما يتعلق بالتراث الأفريقي، في مقابلة مسجلة، يقدّر "**لربما لدينا فكرة عن أقل من 50% عن ما هو موجود هناك**"، بما أن أفريقيا تعتبر مهد الإنسانية، فإن شمال أفريقيا يبدو في نقطة تلاقي الحضارات الصاعدة، إن الاستكشاف ضروري لربط النقاط ببعضها ولفهم ماضينا على وجه الحقيقة، هناك فراغات كثيرة في السجلّ المتوفر والكثير قد غطته "**رمال الزمن**".

على الجانب الإيجابي، تساعدنا التطورات الجديدة في الرادارات الأرضية والتصوير الفضائي للعثور على أسرار مدفونة ولدينا العديد من المواقع الأثرية لنحقق فيها، للأسف، قلة هم من يملكون الإمكانيات والموارد للسفر إلى ليبيا البعيدة، التطورات السياسية الأخيرة تجعل رحلة مثل هذه غير محتملة، ولكن هذا لم يوقف مستكشفين من أمثال **سافيانو** في أي عصر، هؤلاء الأشخاص الشجعان الذين يتركون طوعاً الأمن ونمط التفكير المألوف هم أول من يجد الأجوبة.

